الشاه ولي الله الدهلوي: نبذة عن حياته وأفكاره في التصوف

لا يخفى أن الإسلام انتشر في الهند بفضل المبشرين من الصوفية الـذين كثيرا ما أكدوا الجانب الـروحي في المعـارف الدينيـة والعلـوم الشـرعية، وكانت النتيجة أن بقي الإسلام فعالا في حياة

المسلمين الجدد، ولكن كانت هناك بعض تقصيرات من المتصوفين وبـدل أن يغـير الإسـلام عقائـد الهنـود المعتنقين للـدين الحـنيف ويطبـع حيـاتهم النفسية والخارجية بطابعه الخاص، أصبح هو مشوبا بالأفكار الهندية، ممـا أدى إلى ظهور الملاحـدة والمبتدعـة الـذين حـاولوا التوفيـق بين الإسـلام والديانة الهندوكية، وطبعا كانت هذه الحركة ـ حركة إذابة الإسلام وصهره في بوتقـة الأفكـار الفلسـفية الهنديـة ــ سـببا لإضـعاف قـوة المسـلمين السياسية وانحلال دولتهم، إلا أن فئة العلماء الأتقياء الغيـورين على عـزة الإسلام والمدافعين عن الشريعة الغراء لم يكونوا قد انقرضوا تمامـا ولم ييأسوا ولم يستسلموا بل نهضوا قبل فوت الأوان لتطهير الفكر الإسلامي من أدران الفلسفة الهندية، وعلى رأسهم الشيخ أحمد السرهندي.

.

على كل حال كان عالمكير رمزا لإحياء الشريعة الإسـلامية في الهنـد من جديد بينما كان أخوه داراشكوه يتزعم النزعة الأخرى نحو إدماج شخصـية المسلمين في البيئة الهندوكية، وأخيرا وقـع الصـراع بين الأخـوين للقبض على زمـام الحكم وذلـك في أواخـر عهـد شـاهجهان، وكـان الإخـوان في الحقيقة يمثلان القـوتين المتعارضـتين: الواحـدة لفـرض سـيادة الشـريعة الإسـلامية وإخضـاع الهنـدوس لحكم المسـلمين، والأخـرى لإهمـال أوامـر الشـريعة الإسـلامية وتبـني الأفكـار الفلسـفية المحليـة ارضـاء للهنـدوس

وتـــوددا اليهم عســـى أن يكفـــوا عن معارضـــتهم للحكم الإســـلامي. نعم! اصــطدمت القوتــان المتعارضــتان ووقعت الحــرب الســافرة بين عالمكير ودارشكوه وشاء الله أن ينتصر عالمكير على اخيـه وليطهـر دين الله تطهيرا من شوائب الوثنية والافكـار الاجنبيـة وينفـذ الشـريعة الغـراء حسبما أمكن ويصلح اداة الحكم ويقـوي الجيش ويهـزم المتمـردين عليـه ويقمـع أعـداء الاسـلام فكـان عهـده من أزهى عهـود الإسـلام في الهنـد. مات عالمكير رحمه الله في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي فأصــيبت الدولـة المغوليـة بنكسـة على إثـر وفاتـه وظهـر للعيـان أن صـرح المجـد الإسلامي لا يمكن أن يقوم ويستقر على كتف ملـك حـازم مثـل عـالمكير فقط، بل لا بد من الوعي الإسلامي الصحيح بين عامة المســلمين، وذلـك لا يتأتى إلا بإصلاح نظام التعليم وترويج العلوم الإسلامية والاعتنـاء بتربيـة جيل جديد يتزود من العلم النافع ويتحفز للعلم الصالح ويتفانى في ســبيل خدمة الإسلام وإصلاح حـال المسـلمين ــ تلـك هي المهمـة الكـبرى الـتي انبرى لها الشاه ولي الله الدهلوي، فانه هو الـذي بـذل مجهـودات جبـارة لإحياء العلوم الإسـلامية وأسـس مدرسـة تخـرج منهـا علمـاء جاهـدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم كما أنـه اتخـذ خطـوات جريئـة لبث تعـاليم الإسـلام بين الجمـاهير المتمـرغين في الجهـل والمحـرومين من التوجيـه الديني الصحيح، وكذلك وجه النصح للأمراء والحكام داخـل البلاد وخارجهـا بغيــة دعم روح الائتلاف بين المســلمين، ومــع أنــه لم ينجح في الحقــل السياسـي إلا أنـه هـو الـذي أنقـذ الأمـة الإسـلامية في الهنـد من الانهيـار الخلقي إلى جـــــــــــــانب الانحلال السياســــــــــــــي.

ولد الشاه ولي اللـه قبـل وفـاة عـالمكير بـأربع سـنين في مطلـع القـرن الثامن عشر الميلادي بدهلي في أسرة نبيلة تنتمي إلى عمر الفاروق من

جهة الأب والى الامام موسى الكاظم من جهة الأم، كان ابوه الشـاه عبـد الرحيم احد العلماء الكبار الذين اشـتركوا في تـدوين الموسـوعة الفقهيـة المسماة ((الفتاوي العالمكيرية)) الا انه كان بـالطبع نفـورا من بلاطـات الأمـراء فـأبى أن ينخـرط في الخدمـة الحكوميـة وآثـر العزلـة في بيتـه والعكوف على التدريس في المدرسة الرحيمية التي لعبت دورا هامـا في تربيـة النشـء الجديـد وبث الـوعي الإسـلامي الصـحيح بين الطبقـات الشعبية . اذن لا غرابة في أن يتأدب ويتخرج الطفل (ولي الله) على ابيـه وعلى العلماء الآخرين حوله، وقد فرغ فعلا من تحصيل العلـوم المتداولـة من التفسير والفقه والفلسفة والهيئة في الخامسة عشـرة من عمـره ثم بدأ في التدريس حتى خلف أباه في كرسي الرئاسة بالمدرسـة الرحيميـة الـتي كـان أبـوه يشـرف عليهـا ويرعاهـا. الا أن حب الاسـتزادة من العلم والاطلاع على أحوال العالم الإسـلامي في الخـارج جذبـه الى الإقامـة في الحرمين الشريفين بعد تأدية فريضة الحج حتى أخذ سند الحديث وإجـازة كتب الإثارة من الشيخ أبي طاهر الكردي المدني الذي كان تقديره لمزايا تلميذه لا يقل عن تبجيل التلميذ واحترامه له، لنستأنف ذلك من وراء قول الشيخ المدني عن الشاه الدهلوي ((انه كان يسند عني في اللفظ وكنت أصحح المعـنى منـه)). وصـادف ان الشـيخ أبـا طـاهر الكـردي كـان يـنزع النزعة نفسها التي ورثها الشاه ولي اللـه من أبيـه، فقـد ذكـر عن الشـاه عبد الرحيم أنه كان يشغل همـه في رفـع الخلاف بين الفقهـاء والصـوفية والتوفيق بين العلوم الشرعية والرياضـات الصـوفية لتقويـة مـدارك العلم ومحركـات العمـل في وقت واحـد وتوجيـه قـوى العلم والعمـل معـا الى هدف واحد، وكان الشيخ أبو طاهر الكردي أيضـا يكـد فكـره للتلفيـق بين الحديث والمذاهب المختلفة، وذلك عن طريق النظرة الشاملة إلى سيرة

النـبي (صـلعم) كلهـا بـدل التوقـف عنـد وقـائع فرديـة أو أحكـام جزئيـة، والحقيقة ان الشيخ أبا طاهر إنما كان يمثـل الاتجاهـات الفكريـة السـائدة في مركز العالم الإسلامي إذ ذاك، فان فكـرة الإصـلاح الـديني كـانت قـد اختمرت في البلاد المقدسـة، وكـانت الـدعوات قـد انطلقت من الأقطـار الإسلامية المختلفة الى تطهير الدين من أدران البدع والتخفيـف من حـدة الخلافات المذهبية في الأحكام الجزئية والتخلي عن التعصـبات الطائفيـة، فوجد الشاه ولي الله من العلماء الذين اتصل بهم أثناء إقامتـه بـالحرمين الشريفين تأييدا لفكرته وتقوية لنزعته الى تجديـد العلـوم الإسـلامية بغيـة الإصلاح الديني وتوحيد صفوف المسـلمين في ميـادين العمـل المختلفـة ـ وقد أيقن الشاه ولي الله بضرورة العمل الجدي في هـذا الصـدد إلى حـد أنه رأى رسـول اللـه (صـلعم) في المنـام يكلفـه بهـذه المهمـة الشـريفة ويبشره بالنجاح في إصلاح حال الأمة، فكانت النتيجة أنـه رفض مـا تقـدم به إليه أقاربه من النصح بإطالة مدة إقامته بالحجاز هربا من الاضطرابات في الهند، وآثر الرجوع الى وطنه ليساهم حسب طاقته وجهده في إصلاح الأحـــــــــــــــــوال.

وبعد رجوعه إلى دهلي بدأ الشاه ولي الله يمارس مهـام منصـبه كـرئيس للأساتذة حـتى اشـتهر صـيته وكـثر عـدد الطلاب حولـه، الا ان همـه كـان منصرفا الى التجديد واحياء الـدين والنهـوض بالأمـة الإسـلامية نهضـة كي تقـوى على قمـع الأعـداء قبـل فـوات الأوان والاسـتمرار في حيـاة العـز والكرامـــــــــــــــــة.

وبعد طول التفكير وصل الى النتيجة ان السبب الرئيسي لمـا كـان يعانيـه المسلمون من فرقة الهواء وفساد الأخلاق والذل والهوان هو الابتعـاد عن الروح الإسلامية ولن يصلح حال المسلمين الا اذا صلح حال العلماء، لذلك

ركز جهوده على ادخال تعديلات شـاملة في طـرق التعليم ومناهجـه، بـل جدد العلوم الإسلامية نفسـها حـتى ضـمنت تنميـة قـوى الاجتهـاد والخلـق والابتكـار وعـرض الحقـائق الدينيـة عرضـا يتلاءم مـع روح العصـر. أمـا مصنفات الشاه ولي اللـه فكثـيرة الا ان أهمهـا بـدون شـك ((حجـة اللـه البالغة)) وموضوعها علم أسرار الدين الباحث عن حكم الأحكام ولمياتهـا وأسـرار خـواص الأعمـال ونكاتهـا، وقـد شـرح المصـنف الموضـوع في المقدمة فقال ((قد يظن أن الأحكام الشرعية غـير متضـمنة لشـيء من مصالح وأنه ليس بين العمال وبين ما جعـل اللـه جـزاء لهـا مناسـبة، وأن مثل التكليف بالشرائع كمثل سيد أراد أن يختبر طاعـة عبـده فـأمر برفـع حجر أو لمس شجرة مما لا فائدة فيه غير الاختبار، فلمـا أطـاع أو عصـى جوزي بعمله، وهذا ظن فاسد تكذبه السنة وإجماع القـرون المشـهود لهـا بـالخير، ومن عجـز أن يعـرف أن الأعمـال معتـبرة بالنيـات والهيئـات النفسانية التي صدرت منها كما قال النبي (ص) ((انما الأعمال بالنيات)) وان القصـاص شـرع زاجـر عن القتـل كمـا قـال اللـه تعـالى ((ولكم في القصاص حياة يا أولي الألبـاب)) وأن الحـدود والكفـارات شـرعت زواجـر عن المعاصـي كمـا قـال اللـه تعـالى ((ليـذوق وبـال أمـره)) وان أحكـام المعاملات والمناكحات شرعت لإقامة العدل فيهم إلى غير ذلك ممـا دلت اليات والأحاديث عليه ولهج به غير واحد من العلماء في كل قرن فانـه لم يمسـه من العلم الا كمـا يمس الابـرة من المـاء حين تغمس في البحـر وتخرج، وهو بان يبكي على نفسـه أحـق من ان يعتـد بقولـه)) ثم يمضـي فيقول: ((لم يزل العلماء المجتهدون يعللون الأحكام بالمصـالح الا انـه لا يحـل أن يتوقـف في امتثـال أحكـام الشـرع اذا صـحت بهـا الروايـة على معرفة تلك المصالح لعدم استقلال عقول كثير من الناس في معرفة كثير

من المصالح ولكون النبي (ص) أوثـق عنـدنا من عقولنـا، ولـذلك لم يـزل هذا العلم مضنونا به على غير أهله ويشـترط لـه مـا يشـترط في تفسـير كتاب الله ويحرم الخوض فيه بـالرأي الخـالص غـير المسـتند الى السـنن والآثار، وظهر مما ذكرنا أن الحـق في التكليـف بالشـرائع ان مثلـه كمثـل سـيد مـرض عبيـده فسـلط عليهم رجلا من خاصـته ليسـقيهم دواء فـان أطاعوا له أطاعوا السـيد ورضـي عنهم سـيدهم وأثـابهم خـيرا ونجـوا من المرض، وان عصوه عصوا السيد واحاط بهم غضبه وجازاهم أسوأ الجزاء وهلكـوا من المـرض، والى ذلـك أشـار النـبي (ص) حيث قـال راويـا عن الملائكة أن مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبـة وبعث داعيـا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الـــــــــدار ولم يأكـــــــــــل من المأدبــــــــــــة)).

فعلى هذا الأساس مضى الشاه ولي الله يبين حكمـة الشـرائع ويتعـرض للمصالح المراعـاة في جميـع العبـادات والأحكـام ممـا يزيـد القلب أيمانـا واطمئنانـــــــــا ويعين في الاجتهـــــــــاد والتفريـــــــــع.

وللشاه ولي اللـه مصـنفات أخـرى كثـيرة كلهـا تهـدف الى الفهم الـدقيق المباشر لأصول الشريعة الإسـلامية من القـرآن والسـنة، وممـا يـذكر في هذا الصدد أن العلماء في عصره انما كـانوا يعتمـدون على الفقـه وحفـظ المسـائل الفرعيـة بـدون ان يرجعـوا إلى الأصـول فلـذلك كـانوا جامـدين متحجرين غير مسايرين لتقدم المجتمع، فكان من نتيجـة الحركـة العلميـة الشاملة التي أسسها الشاه ولي الله ورسم معالمها عن طريق مصـنفاته مثـل ((الفـوز الكبـير في أصـول التفسـير)) و((الانصـاف في سـبب الاختلاف)) و((عقد الجيد في الاجتهاد والتقليد)) ـ كان من نتيجتها أن نشأ علماء مجتهدون واجهوا الأحوال الواقعية بحزم واناة، وقد أثمرت الحركـة

العلمية هذه فيما بعد ثمارا طيبة في حقل السياسة والجهاد بالسلاح حتى استطاعت الأمة الإسلامية في الهند أن تصمد لهجات السيخ والطوائف المعادية الأخرى وتكون فكرة لم تزل تختمر منذ ذلك الحين في إنشاء دولة إسلامية خالصة في أرض الهند ولا سيما المناطق الشمالية منها. لقد كان الشاه ولي الله مولعا بالقرآن والسنن وعني بوجه خاص بالموطأ للامام مالك الذي شرحه شرحا وافيا في كتابه المسمى ((المسوى)) الا انه كان موقنا بأن عماد النهضة العلمية الدينية هو اللغة العربية لا غير، وفعلا أسهم بنصيب وافر في الأدب والشعر، وهاكم أنموذجا من شعره في مدح النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يؤيد دين الله في كل دورة عصائب تتلو مثلها من عصائب فمنهم رجال يدفعون عدوه بسمر القنا والمرهفات القواضب ومنهم رجال بينوا شرع ربن وما كان فيه من حرام وواجب ومنهم رجال يدرسون كتابه بتجويد ترتيل وحفظ مراتب ومنهم رجال فسروه بعلمهم وهم علمونا ما به من غرائب ومنهم رجال بالحديث تولعوا وما كان منه من صحيح وذاهب على الله رب الناس حسن جزائهم بما لا يوافي عده ذهن حاسب موقفه من التصوف ولد الشاه ولي الله في عصر كانت الأمة الإسلامية فيه مصابة بانقسام في الآراء وتشتت في الأهواء، تتجاذبها أفكار وميول متضاربة، فبينما كان التعصب للمذاهب الفقهية مصدر الخلاف والخصام، كانت الصوفية ربما تتمادى في التهاون بهيئات الأعمال وتسخر من الفقهاء وتروج الأفكار الأجنبية وتدعو إلى عدم التمسك بالعقائد الخاصة وعد الاعتزاز بالفوارق والشعائر الدينية، وكان الخلاف بين الفقهاء والصوفية قد بلغ المدى أيام الشيخ أحمد السرهندي المعروف بـ ((مجدد الألف الثاني)) بالهند، فانه قاد حملة شعواء ضد طريقة الصوفية وعوائدهم وأفكارهم الخاصة بهم،

ولا سيما قولهم بوحدة الوجود الذي من شأنه أن يضعف الإيمان بالحق والغيرة عليه ويهون على المرء قبول الأفكار الأجنبية من تقديس مظاهر الكون وتحريم ما احل الله من الطيبات وتعذيب الجسد بغية تنمية الروح واعتبار جميع الأديان سواسية في الوصول الى الحق ـ لقد نجح الشيخ أحمد في مهمته إلى حد بعيد بحيث بدأ الناس يحذرون من الصوفية ويستنكرون البدع في حلقاتهم الا ان الصوفية لم يقض عليهم تماما، بل مازال الخلاف بينهم وبين الفقهاء على أشده الى أيام الشاه ولي الله، ومن المصادفات أن أسرة الشاه ولي الله كانت معروفة بالجمع بين التصوف وعلم الشريعة، وكان هو يسلك مسلك الجمع والتقريب بين الفرق والمذاهب الإسلامية المختلفة بدل التعصب للبعض والعداء للبعض والعداء للبعض الآخر، كان يسلك هذا المسلك بصورة عامة، فلا غرو أنه حاول التقريب بين الصوفية والفقهاء بوجه خاص لأنه ورث التصوف وعلم الشريعة كليهما عن آبائه، لذلك نراه أولا يتجه الى تطهير التصوف وإزالة الشوائب عنه فيحذر الناس من رجال السوء الذين يتخذون التصوف حرفة ويتحلون الكرامات والخوارق ويستغلون الاوهام والخرافات ويبتدعون البدع ويخالفون الشرع في عبادتهم ومعاملاتهم فيضلون ويضلون، فاذا خلص التصوف مما يأباه العلماء وينكره الفقهاء، تمكن الشاه ولي الله من اعطاء صورة حقيقية واضحة للتصوف الإسلامي، ثم دافع عنها أمام العلماء والفقهاء حتى أزال شكوكهم ومخاوفهم وأثبت أن التصوف انما هو طريقة لتقوية محركات العمل الصالح ودعم البواعث النفسية للإخلاص والتضحية في سبيل الخير، ومن ناحية أخرى أكد الشاه ولي الله أن لجميع الأعمال هيئة وروحا معنوية وأن الهيئة المنصوص عليها والمعمول بها لا يستغنى عنها أبدا في سبيل الاحتفاظ بالروح

المعنويـة، ولـذلك كـان العلمـاء والفقهـاء على حـق في الاهتمـام بهيئـات الأعمال الشرعية وتنفيذ الأوامر والنـواهي كمـا وردت بهـا السـنة، فهكـذا اقنع الشاه ولي الله الصوفية بضرورة التقيد بالشرعية فيما يتعلق بهيئات الأعمـال وأوضـاع السـيرة الخارجيـة كمـا حمـل العلمـاء والفقهـاء على الاعـتراف بقيمـة الـروح المعنويـة للعمـال الخارجيـة والاعتبـار بالكيفيـات القلبية والدوافع النفسية لها ـ فالغرض أنه حاول الجمع بين تطهير النفس وجلاء القلب وتزكية العواطف من جهة والتزام الشـرع والعمـل بمقتضـى القـرآن والسـنة فيمـا يتعلـق بالهيـآت الخارجيـة من جهـة أخـرى، وكـانت النتيجـة ان اسـتقر في الأذهـان أن هنـاك نوعـا من التصـوف يتلاءم مـع مقتضيات الشرع وروح الإسلام وان الشريعة لا تأبى الأخذ بوسائل تقويـة روح الإخلاص في تأدية الواجبات الدينية، فحـذر النـاس من رجـال السـوء من الصـوفية وكـف العلمـاء والفقهـاء عن الطعن في التصـوف مـا دام لا يؤدي ذلك الى اهمال الشرع والاستخفاف بهيئات الاعمال ـ ثم ان الشــاه ولي اللـه لم يكتـف برفـع الخلاف بين الفقهـاء والصـوفية، بـل عمـد الى الائتلاف بين الطرق الصوفية المختلفة أيضـا، فقـد كـانت طـرق الجشـتية والسهروردية والقدريـة والنقشـبندية كلهـا تتبـارى وتتسـابق في مـا بينهـا للأخذ بقلوب الناس وكان اتباع كل الطريقة يتعصبون لها وينكـرون غيرهـا مما ادى الى الفرق والتطاحن بدل الاتفـاق والوئـام ، فـأظهر الشـاه ولي اللـه عـدم التعصـب بطريقـة دون أخـرى ولم يتحـرج من الـذكر بـالخير للأقطاب جميع الطرق ـ على كل حال مال الشاه ولي اللـه الى التصـوف بحكم البيئة التي نشأ فيها الا أنه وفي التطرف في هذا الصدد لتعمقه في العلوم الشرعية واطلاعه على مؤلفـات ابن تيميـة وربمـا لتـأثره من آراء محمد بن عبد الوهاب التي كانت تدوي بها أرجاء العالم الإسلامي اذ ذلك.

الشاه ولي الله في الميدان السياسي عـاش الشـاه ولي اللـه في عصـر الانحلال السياسـي والتـدهور العلمي وأبت همتـه العاليـة أن يقتصـر على ناحيـة دون أخـرى من نـواحي الإصـلاح، بـل رام نهضـة شـاملة سياسـية وعلميـة في وقت واحـد، انمـا تاكـد من ان الدعامـة الأولى للنهضـة هي تجديـد العلـوم الشـرعية وإحيـاء المعـارف الإسـلامية، حـتى يقـوم بنيـان السياسة على أساس متين من الوعي الإسلامي العـام ــ ويمكننـا القـول بأنه لم يكن يطمح إلى الزعامة السياسية، بل كان مقتنعا بأن يؤدي واجبه نحو الأمة الإسلامية كعالم من العلماء ورثـة الأنبيـاء، ولـذلك انصـرف الى التـدريس والتصـنيف، وربمـا كـان يأمـل أن انتشـار التعليم بين الطبقـات العمة سينتج عن نبـوغ قـادة الفكـر وإبطـال العمـل الـذين يجاهـدون في سبيل اللـه لإصـلاح الأحـوال السياسـية والأخـذ بزمـام الحكومـة كوسـيلة لاسترداد مجد الاسلام الغابر، والحقيقة ان أمله قد تحقق، وغرسه قد نما وأثمر في مدة غير طويلة، الا انه لم يكن ليصير على ما شاهد وجرب من الأحداث والخطوب والتدهور السريع في الأوضاع الاجتماعيـة والسياسـية في حياته، فـان رجـال الطبقـة العليـا من الأمـراء والملـوك وذوي الـثروة والحيــاة من الإقطــاعيين كــانوا كلهم متهــالكين على اللــذات الماديــة، يعيشـون عيشـة تـرف وبـذخ من غـير مبـالاة بمصـير البلاد أو بمسـتقبل الإسلام والمسلمين ضد الأعـداء في الـداخل والخـارج ــ هـذا وقـد وقـف العلماء موقف المتفرج من تلك الأحوال، يلتقطون فتات الخبز من موائــد الأغنياء ولا يتورعـون من اسـتغلال الـدين لمصـالحهم الشخصـية التافهـة، وكان من الطبيعي في مثل تلك الأحوال أن ينحط المستوى العلمي فيقل مراجعة الأصول ويكثر حفظ الفـروع كمـا يعقم التفكـير والاجتهـاد ويـزداد التعصب والتقليد، فركز الشاه ولي الله جهوده على تعديل منــاهج التعليم

وتنشئة جيل جديد من العلماء البارعين في الاجتهاد والمرشدين الى سبل الخير في جميع ميادين الحياة، إلا أنه لم يصرف نظره تماما عن المآسـي والمهازل التي كانت تمثل أمامـه على المسـرح السياسـي، فلم يكن من دأبه أن ينتظـر الزعامـة الجديـدة لإصـلاح الأحـوال السياسـية بعـد فـوات الأوان، بل بذل كل ما في وسعه لوضع حد للفساد قبـل أن يتسـع الخـرق على الراقـع، انمـا كـان جـل اعتمـاده في تغيـير الأوضـاع السياسـية على لسانه وقلمه، وبما انه لم يرد أن يثير العداوة والبغضاء بين الطبقات، ولم ييأس تماما من الخير في طبقة الملوك والأمراء حتى ليشن حربا شـعواء عليهم ويقود الثورة ضدهم، بدأ بتوجيه النصح الى كل من آنس فيه رشـدا من الملوك والأمراء المعاصـرين لـه، فبعث برسـائل مطولـة الى الأمـراء ونواب الملك أمثال النظام أي العامـل بالـدكن (منطقـة الجنـوب) ونجيب الدولـة، يـوقظهم من سـباتهم وينبههم على أخطـائهم ويقـول لهم كلمـة الحق ويصدع باوامر الشرع ويذكرهم بواجبهم، وينير امامهم السبل لأنقاذ المة الاسلامية من الوضع المؤلم الذي كانوا هم ورطوهـا فيـه، وقـد كـان لمساعيه صـدى في أوسـاط الأمـراء والحكـام، ولاسـيما لأنـه لم يسـألهم عليها أجرا، ولم يطلب تنحية أحد منهم من منصبه، بـل ضـمن لهم البقـاء اذا هم أخذوا بأسباب القوة وتفانوا في سبيل الاسلام وأصبحوا يدا واحـدة ضد الأعداء في الداخل والخارج، الا ان الشاه ولي الله قدر في نفسه أن الأمر فيما يتعلق بالأمراء المحلـيين قـد أصـبح عسـيرا وان المـاء قـد بلـغ الزبى فرمى ببصره الى الخارج عسى أن يجد من الملوك المسلمين من يهب لنصرة الاسلام في الهند، فاختار من بينهم أحمد شاه الابدالي وعقـد عليه الامال واتصل به ليطلعه على مـا يلاقيـه المسـلمون من ذل وهـوان في الهند ومـا هم فيـه من التشـتت والضـعف ومـا ينتظـر لهم من الويـل

والثبور، فكان أحمد شاه الابدالي عند حسـن ظن الشـاه ولي اللـه كـانت عنـده فكـرة واضـحة عن دور العلمـاء في الحيـاة القوميـة، فـان مهمتهم الأولى هي الـدرس والتـدريس وتـرويج العلـوم الشـرعية وبث التعـاليم الإسلامية بين الشعوب لتهيئة الجو اللازم للعمل بـالروح الدينيـة الخالصـة في جميع ميادين الحياة، وبالتالي تقديم النصح وكلمة الحق أمـام الأمـراء والقواد ودعوتهم إلى العمل لإعلاء شان الإسـلام وتقويـة المسـلمين، أمـا المناصب الإدارية والقيادة العسكرية فليس من شأن العلماء وربمـا يخـل بوظيفتهم الأولى ـ تلك هي الخطة التي سـار عليهـا الشـاه ولي اللـه في الإصلاح السياسي الى أن اضطر أتباعـه الى التـدخل في السياسـة تـدخلا مباشرا.

الدكتور سراج احمد المصباحي